

أمثلة من الترجمة

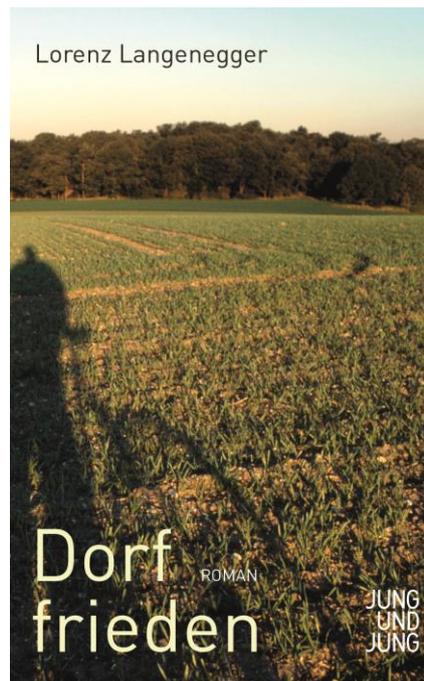
Lorenz Langenegger
Dorffrieden

Jung und Jung Verlag, Salzburg 2016
ISBN 978-3-9902-7090-5

صفحات 5-18

لورنتس لانجينجر
"سلام قرية"

ترجمة كوثر التابعي



دفع "فتنهوفر" بظهر كرسي مكتبه إلى الوراء وألقى برأسه إلى الخلف. غرق طلاء سقف الغرفة الأملس في ضوء مصباح النيون الساطع. رمش "فتنهوفر" في انتظار أن تأتي قطرات العين بمفعولها المريح. إنه يوم الجمعة بعد الظهر وأخيرا يعم الهدوء. تم القبض على لص المتاجر الثرثار الذي ابتدع أثناء كتابة المحضر رواية أقرب منها للمؤامرة عن كيفية وصول كيس جمبري بحر الشمال المجدد إلى جيبه، ثم أخذت بصماته وأطلق سراحه، بينما بقي ثلة الشباب غير الراشدين الذين بالغوا في توقع أن يتحمل أولياءهم مسؤولية سكرهم رهن الحجز. لم يحن ذلك بعد.

سبب مزاج "فتنهوفر" المتعكر والعالق في فضاء قاعات قسم الشرطة كرائحة حامض العرق في غرفة تغيير الملابس بعد مباراة كرة قدم، هي مكالمة زوجته الهاتفية بعد المرحلة الثانية من فطور الصباح المتمثل في فنجان قهوة وتفاحة، إذ انه صار يتنازل عن تناول قطعة شوكولاتة كما نصحه طبيبه. باغتته هيلين بخبر وفاة الصيدلي فجأة فمذ بدأ "فتنهوفر" يعي نفسه، يذكر أن عينه اليمنى كانت تسبب له مشاكل، فتلتهب لأبسب تيار هواء أو تجتاحها الحكمة عند هبوب حبات لقاح. يكفي أن تمر قربة قطة أو تتغير حالة الطقس حتى يبدأ جفنه الأيمن في الارتعاش. لم يغفر لوالدته أنها كانت دائما تصر على أن يشرب شاي البابونج بعد أن يضع كيس الشاي كضمانة على عينه اليمنى. منذ كبر وصار له مرتب وهب ثقته لقطرات العيون من الصيدلية في المدينة المجاورة. هيلين أعلمته أن الصيدلي الجديد لن يكلف نفسه عناء تحضير أدوية بنفسه بل سيعول على منتجات الصناعة الكيميائية. كان مخزون قطرات العيون قارورات ثلاث اقتنتها هيلين. سوف يتمكن "فتنهوفر" بها من تجاوز فصل الربيع بسلام، إذا كان الطقس كان رحيما به. رمش مرة أخرى وهو يشعر أن وطأة الحكمة خفت قليلا حين بلغت مسمعه خطوات "بنزماير" الخافتة وهو يقترب من مكتبه. ليس الآن، ردد في نفسه. إن هو انتصب واقفا، وهذا هو ما يمليه الواجب حين يقف رئيسه عند مكتبه، ستسيل القطرات الثمينة على خده، قبل أن يتراجع الحرق من عينيه وتعود الحكمة ثانية، وحينها يجب عليه تكرار الأمر من جديد. موقف الدفاع الداخلي لم يكن كافيا ليمر رئيسه دون أن يتوقف. فجأة خرست خطاه. تتحنح رئيسه، الذي يرتدي سترته دائما بأزرار مزررة حتى آخرها. تماما كما يليق برئيس قسم الشرطة. أكيد أن الأمر غير مستعجل البتة. ليس الآن وليس هنا، في هذه القرية البحرية الموسرة التي ألقاه فيها قدر ميلاده صدفة قبل نصف قرن. هنا ذهب إلى المدرسة وهنا جلس مع حبه الأول على مقعد حديقة على ضفة البحيرة وكانت درجة الحرارة يومها اثنتي عشرة تحت الصفر. ومنذ يوم أدائه القسم كشرطي وهو في الخدمة. يعلم جيدا أن في القرية كلها ليس هنالك أمر لا يمكن ان ينتظر دقيقة واحدة. حتى يسري مفعول قطرات العين كاملا.

- السيدة "رامساوار" اتصلت.
- انتفض "فتنهوفر" واقفا وانتثرت قطرات العين فوق الجريدة المحلية الموضوع على لوحة المفاتيح. الأرملة! ليس هنالك أمر مستعجل، ولكن هنالك السيدة "رامساوار". "حاول" فتنهوفر تركيز نظراته على "بنزماير". تقاسيم وجه رئيسه التي لا تشهد بذكاء مفرط، تزيد عينيه الزرقاوين الصغيرتين ضياعا.
- أنت لا تبكي، "فتنهوفر" أليس كذلك؟
- عيني.
- هل هي حبوب اللقاح الطائرة من جديد؟
- لماذا لم تحول السيدة "رامساوار" على خطي؟

لا أحد يعرف بدقة عمر أرملة رئيس البلدية السابق الثرية والوريثة الوحيدة لشركة نسيج. كل من يرى وجهها بتجاعيده العديدة والمتفرعة يعتقد أنها بلا شك عاشت قرنا كاملا. لكن عقلها يقض أكثر من العديدين من أصحاب التقاعد المبكر. الحقيقة عن عمرها لا بد انها بين بين. ولأنها لم ترزق بذرية وأخوتها توفوا جميعا، فإن نصف القرية تعتمد على إرثها.

تهاطلت عليها في السنوات الأخيرة شتى الاقتراحات والمطالب بمناصب شرفية وعضوية في مشاريع رعاية ورفضتها جميعا. وبالنسبة للحزب المحلي الذي يقوده عضو المجلس البلدي "كايزر" ، خلف زوجها الراحل الذي بحكم قلة الكاريزما في شخصه لم يصل الا الى رتبة رئيس للجنة الأمن ، وبذلك مديرا للشرطة، فإنه يعيش تحت رحمة دعمها منذ سنوات. بديهي إذن أن تحظى المكالمات القادمة من "الفيللا" بكل هذا الاهتمام. ولأنها تنفر من "بنزماير" لقلة حيلته ولأن "فيليكس" الزميل الشاب يعتبرها عجوزا خرقاء و"برونو" الذي يعرض حاليا زميلا مريضا ليس ملما بكل الحقائق فإن "فتنهوفر" هو المؤهل للعناية بهواجسها وطلباتها.

- الجمعة 20 مارس، الساعة 16.38. أعلنت السيدة "رامساور" عن فوضى عند موقف الدراجات الهوائية أمام بناية المدرسة.
- فوضى عند موقف الدراجات الهوائية. مفهوم.
- سنتولى الأمر "فتنهوفر" أليس كذلك؟
- نعم، سأذهب فورا.

لبس "فتنهوفر" قلنسوته وأخذ قارورة قطرات العيون وهو يهم بمغادرة المكان في حماسة لمأمورية تملئها عليه خدمته حين استوقفه رئيسه.

- اليوم الجمعة يا "فتنهوفر"، ألم تلحظ شيئا؟
- سيطر على "بنزماير" مبدأ العناية والإرشاد في خطابه للمواطنين، كما هو عادة في خطاب الشرطي للمواطن حتى أنه يخاطب زملاءه في نفس الأسلوب. ولكن "فتنهوفر" لا يلوم رئيسه على هذا الهوس. كلهم بشر، ولأنهم لم يغادروا في حياتهم شرطة البلدية فهم بالتأكيد ليسوا الأذكي ولا الأكثر طموحا بين البشر. إضافة إلى أن كل من كان له طموحا أو من كان قرفا شديد الفطنة وجد نفسه عاجلا خارج هذا القسم، وهذا ما يساهم بشكل رئيسي في حسن المناخ بين الزملاء لذلك يأخذ "فتنهوفر" أسئلة رئيسه على عاتقه.
- بالضبط. اليوم جمعة.
- وماذا يميز يوم الجمعة؟
- لم يفهم "فتنهوفر" مايقصده رئيسه.

- يوم الجمعة هو يوم التنظيف. يجب أن تكون سلة الورق فوق الطاولة!
- كبت "فتنهوفر" تهيدة. قبل أن يحط أثر أى وسخ رحاله في المكتب تكون مجموعة التنظيف قد قامت بدورها من جديد. "نحن نظيفون" هذه أول وصية في منشور داخلي كتبه "بنزماير" وأمضاه كل زملائه. "فتنهوفر" يعتقد أنه لا يعني بذلك النزاهة فحسب بل كذلك نظافة الزي والمكتب. ولم يصر على أن يسأله إن كان ميثاق الشرف هذا من حقه أن يطالب زملاءه بالالتزام به، ويجزم أن المدير "كايزر" لا يدري عن الأمر شيئا. هذا الأخير لا يهتم من أمور الشرطة الا أمر واحد وهو أن تكون الأرملة "رامساور" راضية. وبالتأكيد أن "بنزماير" قضى أسابيع وهو يشحذ بنود ميثاق الشرف هذا هربا من الفراغ والملل الذي يسيطر على قاعات قسم الشرطة كمدية مقصلة.

ركب "فتنهوفر" سيارة الخدمة الجديدة التي مايزال في صراع متواصل مع جهازها الإلكتروني. مايكاد يتصلح مع موديل إلكتروني حتى يسحب منه. اذ حينما يبلغ عداد الكيلومترات رقما معيناً ينص عليه منشور القوانين البلدية لا يجدي لا منطق ولا رجاء. تعوض السيارة بأخرى. يقود السيارة إلى الوراء ليخرج بها إلى الشارع وهو يتجاهل الصوت القادم من السيارة لينبهه إلى مزيد من الحذر عند السير إلى الوراء.

شرطي بمهام مميزة، مسؤول عن خدمة الحي. من اختلق ذلك؟ هل هناك من يشمت بكيفية قضائه حياته يوما بعد يوم قابعا في هذا المكتب، حيث تسيطر رائحة الأشياء الجديدة مرتفعة الثمن، والتي ستبقى جزءا في نصف القرن المقبل على حالها، لأن لا كلب مبلول ولا دم ولا

جثة ستغير فيها شيئاً؟ لو هي فعلا موجودة هذه "الذات"، لو هي فعلا قابعة هناك فوق. إذ أن "فتنهوفر" يعتقد أن لا مكان لها غير هناك في هذه الحالة يكون الراوي ضعيفا جدا. إن إلهام كاتبة متوسطة لروايات بوليسية من نوع "الأكثر مبيعا" كان كافياً لجعله كمفتش شرطة يشم رائحة الكمأة إلى أنفه. كم صار له من زملاء في السنوات الأخيرة. يتكاثرون كالفطر في تربة الغاب الرطبة. وفي أيام كالسيوم يصيرون كالسم بالنسبة إليه. تمضي السيارة في شارع الحي ويتخيل هو ما سيؤول إليه حاله إذا تولى أمره كاتب حقيقي، أحدهم ممن يقفون على أقدامهم في مستنقع الفساد في إحدى المدن الأمريكية الكبرى ويعرف بكلتا يديه من المستنقع. كان سيقود سيارة على الطريق السريعة، نظارته الشمسية مثبتة على جبينه، والنجم يلمع على قميصه وعود ثقاب في زاوية فمه. ستكون عينه الملتهبة حينها لا تستحق الحديث عنها. سيخدر الأم سن مخلوطة بشيء من ويسكي رخيص، سيعطي آخر قميص له لضحية طعنت في البطن كي يتوقف الدم عن السيلان. قد يخسر في السابعة من عمره سبائته اليمنى من أجل شرف أمه، وفي العاشرة يضع أول مسدس في حزام سرواله، ويتقن الضغط على زناده بالوسطى. لما يبلغ العشرين يغير الضفة ويواجه الظلم في شعاب شوارع مظلمة بلا خوف. وحين ينهار في آخر فصل من الكتاب أمام رئيس عصابة المافيا وقد اخترقه وابل من الرصاص تكون كل صفحة كانت جديرة بالحدث.

توقف "فتنهوفر" عند أول مفترق طرق وترك لراكب الدراجة الهوائية أولوية العبور. لم يُنقل إلى هنا نتيجة عقوبة، فكر، إنه اختياره الشخصي عن طواعية أن يكون هنا في خدمة هذه القرية الهادئة على ضفة البحيرة. لما تسلم الوظيفة، كان يعلم أنه لن تطلق رصاصة مستقبلا، لأن الجيش أغلق حقل الرمي لأسباب تقشفية. وسيارة الإسعاف كانت تستعمل الضوء الأزرق حين تحمل أحد ساكني الفيلات المسنين إذا توقف قلبه عن النبض. اختار تلك الوظيفة يومها لأنه تبين أنه لم يكن ذلك الأعزب الذي تخفق له قلوب ربات البيوت والأمهات الشابات. ولم يكن يذهب في أيام الراحة إلى المدينة المجاورة ليلتقي بمومس قاصرة وقع في شباك حبها. لم تكن له عشيقة يقيدها إلى جسم المدفأة بأصفاده المتأرجحة من حزامه الجلدي. لا، كان يحب هيلين، زوجته. يحبها إلى اليوم بكل شبيهة ظهرت في شعرها بعد زواجهما، و يحب ابنه الذي غادر بيت الوالدين قبل شهر، و يحب موطنه. يتحدث مع جيرانه عبر سور الحديقة. يحب الهزل عند صندوق الدفع في السوبرماركت ويفلح في أن يضحك المنتظرين فاقد الصبر خلفه في الطابور، بل وحتى محاسبة الصندوق المرهقة. إنه ينتمي إلى هذا العالم الصغير المسيح بأناقة بأشجار الحياة وأزهار متناسقة الألوان.

طبعاً يتمنى أحيانا أنه لو كان شخصا آخر. يتخيل ما عساه أن يكون أمره لو أن مسدسه أكثر مرونة في حاملة الجراب، لو أنه لا يكوّر قبضته في جيبه فقط. هيلين تقرأ في كل لحظة فراغ، ولديها عديد من روايات بوليسية أمريكية خارقة السرعة وأخرى سويدية لا قاع لها انكبت عليها بعد مغادرة شتيفان للبيت. أحيانا يرى بعضا من التعاطف في نظراتها معه لما تنتهي من قراءة رواية بوليسية تكون نهايتها أبعد ماتكون عن الفوز للحق وللعدالة. نعم هو شرطي ومهامه منحصرة في خدمة الحي. ليس عملا بطوليا ولكن ليس عملا مذموما كذلك. بالعكس هو مقتنع أنه في دوره ذلك يفيد الآخرين أكثر من أي دور آخر. الأمر الوحيد الذي عليه أن يقبله من فوق هو مكالمات السيدة الأرملة. لا تدخل للسياسة ولا لاقتصاد مفسد في عمله. وهو يساهم بشكل أساسي في التعايش الطيب في هذه القرية. يزور المدارس كي يتحدث إلى الأطفال عن القيم التي بنيت على أساسها الرفاهية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

علم صغير لنادي كرة القدم المحلي يتدلى فوق مرآة الرؤية الخلفية في سيارة الخدمة. في وقت فراغه يدرّب "فتنهوفر" فريق الأشبال صنف (E) ويبدو أنه بداية من الصيف المقبل سيعطونه فريق صنف (F) لأنه رغم قوته التقنية لم يعد بسنواته الخمسين قادرا على أن يساير لياقة الصبيان ذوي العشر سنوات. هذا ما لمح له رئيس المدربين "كروب" في آخر اجتماع. لم يبد "فتنهوفر" أي ردة فعل ولكن بالتأكيد أنه لن يترك هذا الأمر يحدث، دون أن يبدي استياءه. كان

قبل خمس سنوات بيدرب فريق الأصاغر صنف D ولما دخل في سياق عدو مع الفتى " الكوسوفي" المهاجم، الموهبة الواعدة بمستقبل زاهر، كما أجمع طاقم المدربين، حينها تمزق رباط كاحله الأيمن وأقنعه "كروب" أن الأوان قد حل لينقص من نشاطه. في الأثناء تحصلت العائلة الكوسوفية على الجنسية وذهب ابنها الموهوب للمشاركة في مباريات على الصعيد الأوروبي للناشئة كما أنه يلعب في الفريق الثاني لنادي المدينة. وهو فخر القرية. يضاهي أساطير العدو في السرعة. ويقال إنه لحق بالباص الذي فاته ومر أمام عينيه، على بعد ثلاث محطات. وفي واقعة يقال إنه عدا مسرعاً عبر مبنى المدرسة ومكان الفسحة، حاملاً هاتفاً يرن، ليسلمه في يد الحارس قبل أن يتوقف عن الرنين.

يوم الجمعة تكون هنالك جلبة ومشاة أكثر من أيام الأسبوع في شوارع القرية. يبدو الفرع جلياً على وجوه الذين يشتغلون في المدينة ويغادرون عملهم باكراً تقادياً للقطارات الحاشدة بالراكبين. يقود "فتنهوفر" سيارة الخدمة ببطء متعمد في شوارع القرية. نحن قدوة للآخرين. هذه هي النقطة الثانية في ميثاق "بنزماير". لو كان الأمر في يد "فتنهوفر" لما سمح لسيارة أن تكون أسرع من كبير حين يركض، حوادث السير للأطفال الذين تدهسهم السيارات هي مالا يتمناه "فتنهوفر". لما أتى اقتراح بتحديد السرعة أمام روضة الأطفال في آخر اجتماع للبلدية، احتج ثلاثة مواطنين بشدة عن كونهم يعتبرون ذلك حداً من حريتهم الشخصية حين يجبرون على تخفيض السرعة وعلى الوقوف أمام خطوط المشاة البيضاء. أن هذا الصنف من البشر موجود ليس الأمر بغريب عن "فتنهوفر". هو يلتقي بهم يومياً في إطار خدمته. أما أن تصوت الأغلبية وإن لم تكن المطلقة تنازلاً عند رغبة هؤلاء. فهذا ما جعل "فتنهوفر" مذهولاً. وهو فعلاً حائر كيف سيوضح هذا القرار في ساعة درس قانون الطرقات في روضة الأطفال.

توقف "فتنهوفر" قليلاً أمام السوبرماركت ليشعر الصبية الجالسين حول نافورة البئر أن عين القانون ترعاهم. وأن الدراسة والتكوين المهني هو الطريق السليمة إلى عقد إيجار للسيارة الأولى في حياة الشاب وليست الإدمان على الرهان الرياضي والقيام بخدمات البريد السريع لأطراف مشبوهة. في سلات ربات البيوت والطهاة الهواة شرائح لحم تنتظر أن تطبخ على نار هادئة. متقاعدون في طريقهم إلى لقاء الجمعة في بيت البلدية التابع للكنيسة. و"جيدو منتالي" نصب أمام دكانه عربة بعينات من أنواع للتدوق من "السلامي" محاولاً أن يكون في مستوى توقعات الزبائن من تاجر أغذية خاصة من إيطاليا. تلميذه الصيدلي "ألبيجر" بصدد توزيع بالونات وحلوى على الأطفال. مرت سيارة "فتنهوفر" بين مضخات البنزين في محطة الوقود ولوح بيده محبياً "كلارا" التي أبدت فزعها من أخبار تفاقم عمليات السطو على محطات الوقود، التي ترد أخبارها في الإعلام بشكل متزايد. أول عملية ملء خزان دفعت من صندوق "كلارا"، كلارا السمينة، التي تعلم الكبيرة والصغيرة عما يحدث في القرية. من يملأ خزان بنزين سيارته إلى النصف، لأن أيام الشهر مثلاً لا تتناسب مع المرتب، من يبحث عن بيت، من يريد بيع فراش رضيع، وحدها الذي تعول عليه غالباً، لا يخلها في ترتيب المعلومات بشكل صحيح.

لو لم تكن مكالمة السيدة "رامساور" لانخرط "فتنهوفر" في أجواء عشية الجمعة المرححة التي تهيء نفسها لاستقبال نهاية الأسبوع. حينها ينهي لعب Patience ويغلق حاسوبه ثم يفتح الزر الأعلى لقميصه. يتصل بزوجته هاتفياً ليسألها ما إذا كانا نسيا شيئاً ما عند التسوق لآخر الأسبوع.

كان سيطرق إطار باب مكتب "بنزماير" ثم يرفع يده للتحية ويمر على "باتريسيا" لتحكي له عن مغامرتها في نهاية الأسبوع حين تنقصر دور جنية كهوية ثانية. ولكن أخذاً بعين الاعتبار بأهمية مكالمة السيدة "رامساور" التي لا يجوز الاستهانة بها، توقف "فتنهوفر" قرب موقف الدراجات الهوائية أمام بناية المدرسة وترك سيارة الخدمة حيث علامة "منوع الوقوف". ماذا دهاه اليوم؟ لماذا يشعر اليوم بالذات بسعادة ماكراً وهو يستغل ولأول مرة الفرصة التي يتيحها له هذا الامتياز. موقف الدراجات الهوائية شبه خال، ما عدا التلاميذ الكبار منهمكون في مثل هذه الساعة على تمارين الرياضيات. غالباً ما يصعب أن يفهم ما

السبب الحقيقي وراء بلاغ من السيدة "رامساور". الدراجات القليلة المتواجدة في الموقف مقيدة بعناية وفي عجالاتها هواء كافٍ. لا أثر لأي عمل تخريب. سلة المهملات ليست فائضة بالقادورات وليست هنالك سيارة غير سيارة الخدمة في منطقة حظر الوقوف أو في مكان آخر ممنوع مجاور وفي المرحج ظهرت بوادر العشب الأخضر لهذا الفصل. امتنع عن رفع علبة السجائر المكرومثة. هذه ليست مهمته بل مهمة التلاميذ طويلي اللسان حين يزودون بملقط إمساك وكيس قمامة في فترات بعد الظهر من الدروس. حام ثانية حول موقف الدراجات الهوائية مبتعدا أكثر فأكثر لكنه لم يكتشف أي شيء مريب. لا فوضى، لا شيء غير عادي، لا غطاء مجرى ناقص ولا حتى حجر صغير منفصل عن الحاشية الذي ربما يتسبب في تعثر أي كان. تعثر، انزلاق، انحناء، السقوط في كل تجلياته يمثل أكبر مخاوف المسنين، هذا ما تعلمه من السيدة "رامساور". السقوط في الشارع هو أسرع طريق إلى القبر. لم تبق له حيلة إذن غير أن يوجه اهتمامه لعلبة السجائر إذ ليس له أن يعود فارغ اليدين إلى قسم الشرطة. ثم ربما هي فعلا غير خالية من الشبهات. حسب علمه ليس هنالك سوى مدرس وحيد يدخل في تلك المدرسة. وهذا الأخير لا يجرأ على التدخين أمام أعين التلاميذ بعد تدخل الأولياء القلقين على أبنائهم، فما بالك بأن يلقي بعلبة سجائر أرضا. البواب "فلوكيجار" يدخل على الدوام، ولكن Gauloise ودون فلتر. طلب الالتماس الذي قدمه بعض الوافدين الجدد على القرية ضد عادته هذه رفضه المجلس البلدي. "فلوكيجار" هو مؤسسة في هذه القرية. ولما حمى وطيس النقاش في المجلس البلدي حول طلب الالتماس هذا تقدم "فلوكيجار" نفسه للميكروفون وواسى من كانوا يجمعون الإمضاءات بلا نجاح لهذا الطلب بأن لو أن الوعود المذكورة على علب السجائر صادقة فإنه أكيد لن يعمر طويلا. انحنى "فتنهوفر" نحو العلبة. رطبة وثقيلة. ثقيلة جدا بالنسبة لعلبة سجائر فارغة. رجها قريبا من أذنه واغتاظ في داخله عن ملامح المحقق التي رافقت حركته. علبة سجائر فارغة مألها سلة المهملات، لا أكثر ولا أقل. ولأن السيدة "رامساور" هي التي أرسلته إلى هنا، تأبى العلبة أن تنزل عند رغبته لتنفجر في يديه. ولكن "الطرطقة" التي تأتي من داخل العلبة يستحيل أن تكون سجائر مبللة وهي تثير فعلا فضوله. فتح العلبة ونسي لوهلة وهو يحرق ما عساه أن يكون تعبير ملامحه. كب محتوى العلبة على كفه ورأى في الحين مفتاحا لا بد أن يكون لخزانة في غرفة تغيير الملابس في المسبح البلدي. كم مرة استسلم لإلحاح "شتيفان" وترك عينه شديدة الحساسية "للكلور" الحارق يعبث بها ليقوم ابنه بدوراته المئة حول الزحليقة في المسبح. ما أمر هذا المفتاح في علبة سجائر فارغة في الساحة أمام مبنى المدرسة؟ إنها علامة عليه أن يتبعها.